

الرسول أنها طريقة سمحة ليس فيها تكلف تواتيه الألفاظ وتسعفه المعاني ولا يعرف عنه عبارة ضعيفة ولا معني باطل ولم تضعف فصاحته في موقف من المواقف .

وخلاصة الامر سواء في الفترة أو في النطق أو في العبارة كان في أعلى مراتب الفصاحة مما يندر بل يمتنع نظيره في البيئة العربية - كذلك فالعرب لم تعرف عن الرسول شائبة فصاحة ، فالله عز وجل قد عصم رسوله ﷺ من أخطاء البشر فكانت عبر ذاتها معجزة ، كذلك فاللغة قد كشفت عن أسرارها وأعطت كل ما فيها من ثروة المعاني والألفاظ .

ونقول أن الرسول ﷺ في بداية دعوته ومنذ أول انطباع للعرب عن أفصح الفصحاء الجديرين بأن يجلس إليهم العرب ويتعلمون عليه وهو يتلو القرآن تلاوة فصيحة وتفسيرية في أعلى بيان ويجيب السائلين في عبارات بليغة ، واستمر على هذا النمط منذ بدء دعوته إلى انتهاء حياته ولو عرف العرب عنه غير ذلك لما جلسوا إليه ولردوا إليه القرآن أو لرفضوا أن يستمعوا إلى القرآن ، ولم يحدثنا التاريخ بأن شيئا من ذلك قد وقع ...

ثم لو رجعنا إلى المقارنة بين كلامه وكلام غيره من فصحاء العرب لوجدنا المثقفين منهم يستغرقون وقتا طويلا ينظمون وينقحون ويهدبون ويحذقون حتى يظهروا كلامهم للناس ، أما الرسول ﷺ فلم يكن ليستغرق هذا الوقت كله بل كان يجيب السائل فور سؤاله بعبارة فصيحة بليغة ، ورغم استغراقهم هذا الوقت كانوا لا يسلمون من عيوب الكلام كالإطناب في موضع الإيجاز والايجاز في موضع الاطناب ، وبالعكس ثم أن معانيهم كانت متكررة يتوارثها جيل عن جيل ولو اختلفت الفاظها كالممدح والثناء والوصف أما معانية ﷺ فلم تسبق ولم تلحق ، متعددة الاغراض وألفاظه كان عنده خادما للمعنى والمعني سابق للفظ وعندهم العكس فيأتي المعنى تابعا للفظ .
